

الضغط على الحكومة (2)

الضغط الإستباقي وتأثيراته على المالكي في حكومتيه – الجزء الأول

صائب خليل
3 آذار 2011

هذا هو الجزء الأول من القسم الثاني من مقالة "الضغط على الحكومة" وكان القسم الأول بعنوان "إدارة الضغط على الحكومة وتوجيهه (1)" وشبهنا فيه الضغط على الحكومة كالضغط على بالونه، وان بالونة ستقفز في الإتجاه الذي تجده مفتوحاً، ولذلك يتوجب على من يبغى تسليط الضغط على الحكومة من أجل أي هدف، أن يرتب الحواجز لتلك الحكومة لكي ينتج ضغطه حركة في الإتجاه الصحيح.

في هذا الجزء سنناقش أحد أشكال الضغط المثيرة للإهتمام، وقد اسميته "الضغط الإستباقي" وكما يفهم من اسمه فإنه يتم تسليطه مسبقاً لمنع الحكومة (أو أية جهة أخرى) من التصرف بشكل معين فيما إذا أرادت، أو إجبارها مستقبلاً على أن تتحو نحواً معيناً في سياستها، ويتم بناء هذا الضغط بشكل تحضيرى وقبل أن تبدأ الحاجة الفعلية إليه.

ومثل "الحرب الإستباقية" فإن "الضغط الإستباقي" يعلق على الضحية بعض الخيارات مسبقاً ويجهزها لتيسير بالإتجاه "المناسب". ولعل أكثر استعمال لهذا الضغط في العالم كان في توجيه الولايات المتحدة لتهمة الشيوعية إلى أية حكومة تشتم فيها رائحة الإتجاه إلى الشعب ومصالح البلاد القومية. وقد اتهمت حكومات قومية عديدة في العالم بالشيوعية لذلك السبب، بل أن القساوسة في أميركا الجنوبية اتهموا بالشيوعية رغم أن ذلك أمر مضحك. والسبب كان أن القساوسة بدأوا يتفهمون مواقف الفقراء ويقفون معها، وهو ما كان يغيض الحكومات الدكتاتورية الوحشية التابعة للولايات المتحدة والتي تخرج أكثر قادتها (كلهم في إحدى الفترات) من "مدرسة الأمريكتين" في الولايات المتحدة للتدريب العسكري. ويذكر أن أحد القساوسة قال: "إذا أطعمت جائعاً، قالوا أنك مسيحي طيب، وإن سألت لماذا هو جائع، قالوا أنك شيوعي".

وكوبا أحد الأمثلة الممتازة. فأغلب الناس لا يعلمون أن كاسترو لم يكن شيوعياً في بداية حكمه، وحسب نعوم تشومسكي فإنه كان يضع الشيوعيون في السجون. وأنه بدأ حكمه بزيارة رئيس الولايات المتحدة، لكن هذا غضب من موظفيه أن يأتوه بشيوعي ليقابله. وحين قالوا له أنه ليس شيوعياً، قال: لا يهمني أن كان شيوعياً أم لا، فهو يتكلم كشيوعي.

وهكذا حكم على حكومة كاسترو بالشيوعية وتمت محاصرتها، حتى صارت كذلك بالفعل. وإذا كان كاسترو قد انتقم بهذه الطريقة من متهميه، فإن معظم الآخرين فضلوا الطريق الأهدأ. فاتهمت الولايات المتحدة حكومة ارستيد (القس) في هايتي وحكومة السانديستا في نيكاراغوا والعديد من الحكومات المستقلة في أفريقيا وآسيا، وكما يبين لنا "وليام بلوم" في كتابه القيم "قتل الأمل" فقد اتهموا حكومات حتى لم يكن لديها سفارة لدى الإتحاد السوفيتي بذلك. وفي العراق اتهموا حتى عبد الكريم قاسم بالشيوعية.

كان غرض تلك التهم في كل تلك الحالات، تسليط "ضغط استباقي" يمنع تلك الحكومات حتى من التفكير بإنشاء علاقة مع الإتحاد السوفيتي. فعندما تكون متهماً بالشيوعية، فإن أسوأ شيء تفعله هو أن تؤكد ذلك للمشككين، بأن تخطو خطوة بهذا الإتجاه. الولايات المتحدة كانت تدرك أن "الإتحاد السوفيتي" يمثل الصديق المحتمل الأقوى الذي قد يعرقل مشاريعها في بلد الضحية ويقوي حكومتها ويجعلها أكثر قدرة على مقاومة ضغوطها، فكان يجب تسليط الضغط الإستباقي اللازم لمنع تلك العلاقة.

وعلى ضوء هذا التفسير، يمكننا أن نفهم لماذا كانت الحكومات العراقية المتتالية تتهم بالعمالة لإيران. ولإسناد تلك التهمة كانت الأخبار تنقل بشكل إيجابي غالباً، ولا يستند إلى شيء. وأحياناً كان يستند إلى أمور تافهة، مثل حقيقة أن رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي في أول زيارة له لإيران لم يرتد ربطة العنق أثناء زيارته إلى خامنئي، وكانت أية زيارة تثير مثل تلك التعليقات. وهناك أسباب أخرى أكثر منطقية لكنها لا تثبت شيئاً، مثل انتماء الحكومة إلى الطائفة الشيعية، مثل إيران، وكذلك أن الكثير من افراد تلك الحكومة سبق لهم أن لجأوا إلى إيران في الماضي.

ومثلما عرقل "الضغط الاستباقي" لتلك التهمة الحكومة العراقية في إقامة علاقات قوية بإيران، فقد تم استغلاله من قبل جهات أخرى أيضاً. منظمة مجاهدي خلق، المتهمه بشكل ثابت بالمساهمة باضطهاد العراقيين في انتفاضة عام 1991، والتي ارتكبت جرائم قتل بحقهم، حمت نفسها من الملاحقة، من خلال الضغط الاستباقي للتهمة. فقد كانت تلك المنظمة من الأهداف الإيرانية، وبالتالي فإن أي إجراء عراقي بحقها سوف يفسر ضمن الجو الذي هياؤه الضغط الاستباقي، على أنه دليل آخر على تلك "الإشاعات" بعمالة الحكومة لإيران. ولم تكف المنظمة بالاستفادة من ذلك الضغط، بل ساعدت في تكوينه وتثبيتته في بياناتها المختلفة. وجاء في أحدها قائمة بثلاثين ألف عميل لإيران يعملون في الحكومة! وإذا تذكرنا أنه ليس من المعتاد أن تتهم منظمة سياسية، حكومة الدولة المضيفة لها بمثل هذه التهم حتى لو كانت صحيحة، وأن ذلك كفيلاً بطردها فوراً من تلك الدولة، إن لم يكن محاكمتها على تهمها، أدركنا عمق تأثير الضغط الاستباقي الذي استندت إليه تلك المنظمة وهي تقوم باتهاماتها دون أن تخشى رد الفعل.

ورغم كل الضجيج الذي صاحب الأمر، فإن رد فعل الحكومة كان حذراً جداً. وحين اقتحمت قواتها مدينة أشرف التي تسكنها المنظمة، فأنها فعلت ذلك بدون أسلحة نارية، رغم الخطورة، وحصل اشتباك بين الشرطة العراقية وأعضاء المنظمة أدى إلى سقوط قتلى من الطرفين. وتمت تغطية الحدث إعلامياً بشكل مؤثر كبير، وتم تصويره على أنه جريمة إنسانية وأنه دليل على تلك العمالة لإيران. ويمكننا أن نفند اتهامات المنظمة لحكومة المالكي بالقسوة الشديدة من خلال الحقائق المحددة ومنها أن الحكومة العراقية بقيت ثلاث سنوات تفاوض المنظمة من أجل السماح لقواتها بدخول مدينة أشرف! وكان مدينة أشرف دولة أخرى لا يحق للشرطة العراقية أن تدخلها. ولم تنتج تلك المفاوضات أي شيء فتم اقتحام المدينة بالقوة، ولكن بالحدز الذي فرضه الضغط الاستباقي الشديد المسلط على الحكومة.

كذلك استفاد من ذلك الضغط، بعض اللصوص الكبار مثل وزير الدفاع "الشعلان" و"أيهم السامرائي" وغيرهما باتهام من يحاول أن يحاسبهما بأنه يفعل ذلك لأنهما وقفا ضد إيران، وكذلك فعل مثال الألوسي حين حاول بعض البرلمانيين محاسبته على عمله المهين للشعب العراقي بزيارة إسرائيل وللمرة الثانية، **وهنا نرى "مشعان الجبوري"** يفلت من الحوار الذي كان يدافع به عن جلاد الشعب العراقي صدام حسين، بأن اتهم مقابله في النقاش بأنه "إيراني". (2) لقد كان مثل هذا المشهد أمراً معتاداً، والأمثلة كثيرة ولا تحصى.

بشكل عام، فعندما يراد أن تقوم جهة عميلة أو منسقة مع الولايات المتحدة (في حالة العراق على الأقل) بعمل غير قانوني أو صعب القبول وتخشى أن تتعرض للهجوم عليها، فإن "الضغط الاستباقي" الذي يتم خلقه من خلال حملة إتهامات مركزة إعلامياً، يقوم بتغطيتها، لتقوم بهجومها، تماماً كما تغطي الجيوش أرتالها المتقدمة بقصف مدفعي مكثف على مواقع الأعداء، فيضطر هؤلاء الأعداء إلى الإهتمام بحماية أنفسهم بدلاً من مواجهة المهاجمين الذين يكونون في موقف ضعيف وخطر بدون تلك التغطية. بهذه الطريقة يمكن لمنظمة إرهابية متهمه بجرائم ضد الشعب أن تبقى في الدولة المضيفة وأن يدافع لص كبير أمسك متلبساً بجريمته، عن نفسه وأن يدافع شخص عن مجرم بمستوى صدام حسين، دون أن يخشى عاقبة عمله. بشكل عام، كلما كانت لديك مهمة صعبة، فإن المساعدة والتغطية التي يقدمها لك

"الضغط الإستباقي" ستكون موضع ترحيبك. عليك فقط أن تختار التهم المناسبة لذلك وأن تنشرها في الإعلام بشكل كثيف ليكون فعالاً، تماماً كما هو الأمر مع القصف المدفعي لتغطية المهاجمين.

لقد كانت إدارة بوش تريد منذ البداية إعادة بقايا البعث إلى السلطة، لإدراكها أهميتهم بالنسبة لها وخاصة في المجال الأمني، فعن طريق السيطرة على الأمن تأمن الولايات المتحدة أخطار الديمقراطية التي جاءت بها الى العراق مضطرة.

إلا أن الولايات المتحدة كانت تدرك مدى كره الناس للبعث وكل ما يتعلق به، وأن أية عودة له ستكون لها ردود فعل شعبية قوية، خاصة إن كان الأمر يتعلق بالملف الأمني. لذلك كان يجب تأمين التغطية اللازمة لمن سيتصدى من عملائها (أو أصدقائها) من العراقيين لتلك المهمة. ولأن معظم رجال الأمن الصداميين السابقين كانوا من السنة، فإن ضغطاً إستباقياً بتهمة الطائفية ضد الحكومة ستؤمن درعاً ما للمتصددين لتلك المهمة. كذلك أثيرت حملة "أخلاقية" ضد كلمة "إجتثاث" ووصف "المجتثين" بالوحشية والتخلف. وقطع الطريق على من كان سيتصدى لعودة رجال الأمن والبعثيين السابقين الكبار من خلال حملة ضد "الخطوط الحمر" (أنظر: صائب خليل - [برج الحرباء يمر على سماء بغداد](#)). (3) فصار المتصددين يخشون أن يتهموا بأنهم "إجتثائين" وأنهم استبعاديين للآخرين يضعون "الخطوط الحمر" أمامهم، وصار التباهي بعدم وجود خطوط حمر لدى الشخص مودة في ذلك الوقت، رغم أنها صفة لا أخلاقية، وقد ناقشت في أكثر من مقالة أن من لا خطوط حمر له، لا أخلاق له.

ومقابل تشويه سمعة من يعترض على إعادة رجال الأمن والساسة الصداميين السابقين بالإتهام بالإجتثاثية والطائفية والخطوط الحمر، فإن المجموعة التي تدافع عنهم، قد حصلت على دفعة أخلاقية قوية من خلال عبارة "المصالحة" وتم تصوير إعادة الأمن الصدامي على أنه رمز لـ "المصالحة" بين الشيعة والسنة، ومن يعترض عليه يعترض على المصالحة، وبالتالي فهو طائفي. ثم تركز وسائل الإعلام والسياسيين المتعاونين حملة تدعو إلى "المصالحة" وإلى "تشكيل حكومة وحدة وطنية"، وتقوم الولايات المتحدة بتقديم المعلومات والمشورة والتدريب الإعلامي وكل ما يسهل وصولهم إلى السلطة، وبخاصة الأمنية والعسكرية، لتهيئتهم للإنقضاض بعد ذلك على الحكومة الضحية إن هي ابتعدت عن الخط المرسوم لها. تجارب أميركا في أميركا الوسطى والجنوبية عبارة عن تكرار متنوع لهذا السيناريو، وأحياناً كان ذلك في أوروبا الغربية أيضاً بعد الحرب العالمية الثانية!

واستخدمت الطائفية كتهمة جاهزة لتسهل عمل كونداليزا رايس في إزاحة الجعفري، وجاء بعده المالكي، وحزب الدعوة والسياسيين الشيعة متهمين بالطائفية.

بدأت حملة إعلامية شديدة عن "قلق السنة" من الطائفية وأن مهمة المالكي هو البرهنة بأنه فوق الطائفية... الخ. ومما لاشك فيه أنه كان هناك قلق "سني" حول الطائفية، لكن الإعلام الأمريكي استغله بشكل كبير كقدر ضغط جعل المالكي يسير نحو الأهداف الأمريكية في طريقه إلى تبرئة نفسه. وباستخدام العبارات التي وردت في الحلقة الأولى من المقالة، فإنه تم ترتيب الأشياء أمام المالكي بحيث يكون تنفيذ الأهداف الأمريكية طريقه الوحيد للتخلص من تهمة الطائفية، وهكذا أقام مذبحاً لألد أعداء الأميركيين من الصديين، ثم سمح بملئ إدارته ومكتبه بضباط الأمن البعثيين، فكان ذلك استمراراً لجهود أباد علاوي في هذا المجال. كما تم تعيين شخصيات في مواقع مفصلية كانت مهمتها تأمين شلل الحكومة عند الحاجة، وأبرز تلك الشخصيات طارق الهاشمي وعادل عبد المهدي. مهمة هذه الشخصيات كان وضع الحدود أمام بالونة الحكومة، لكي يؤمنوا أنها لن تقفز بالإتجاه غير المناسب لمن يقودهم، وكانوا قد زودوا بنص دستوري غريب يعطيهم الحق في اعتراض أي قرار برلماني.

وهكذا بدأ المالكي منصبه بتقديم تنازل غريب تماماً وبدون اي مقابل وهو قبول مبدأ اعطاء وزارتي الداخلية والدفاع الى اشخاص "مستقلين". وكان تمجيد "المستقلين" الذي صار مقبولاً على نطاق واسع

اليوم، قد بدأ لتوه، وليس هناك أي تفسير لهذا التمجيد سوى منع الحكومة من السيطرة على مقاليد البلاد كما يفترض. وانتشرت فكرة تستند إلى بعض من الحقيقة، وهي أن الحزبيين سيئين، ولذلك فالمستقلين جيدين، ويجب إعطاء الوزارات المفصلية (الداخلية والدفاع) لمستقلين، لكن أي مستقلين؟ فالمستقل شيء غير محدد المعالم، وبالتالي لا يستحق كل تلك الضجة.

http://www.almothagaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=44513 (1)

http://www.youtube.com/watch?v=ZDQRP4LLZj4&feature=player_detailpage (2)

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=63228 (3)

http://www.almothagaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=42298 (4)

الضغط على الحكومة (2)

الضغط الاستباقي وتأثيراته على المالكي في حكومته - الجزء الثاني

هذا هو الجزء الثاني من القسم الثاني من مقالة "الضغط على الحكومة" وكان القسم الأول بعنوان "إدارة الضغط على الحكومة وتوجيهه (1)"

أمام هذه التهم الاستباقية والإنشغال بتبرئة الذات منها، نسي المالكي الأهداف الملحة التي كان العراق بحاجة إليها. وبالفعل أثير في الإعلام الأمريكي في البداية وتلقفه الإعلام العراقي لاحقاً ما يسمى بـ "تسجيل النقاط"، والمخصص لقياس تقدم المالكي لدى الحكومة الأمريكية، وكان بترايوس قائد القوات الأمريكية في العراق في ذلك الحين يقدم لحكومته التقارير عن تسجيل المالكي لتلك النقاط، والتي كانت تنشر إعلامياً، وكان المالكي يعامل كتلميذ صغير يعطى واجباً من قبل المعلم، دون أن يثير ذلك أي شعور بالاحتجاج والمهانة!

تحت ذلك "الضغط الاستباقي" بالطائفية والتبعية لإيران، صار المالكي يتصرف وكأنه مجرم متهم بالطائفية والعمالة لإيران، تم إخراجه من السجن مؤقتاً ليبرهن حسن سلوكه! وبالفعل كان خطابه الأول يهتف "من الآن وصاعداً سيكون جهدنا منصبا على الغاء كل هذه المفاهيم والعمل على أساس الهوية العراقية وعلى أساس الشراكة الوطنية". وهي عبارة مفهومة القصد، لكنها غير دقيقة لأنها توافق ضمناً على إتهام بالطائفية للحكومة السابقة للجعفري.

وتم استغلال "الضغط الاستباقي" للتبعية لإيران للدفاع عن الإتفاقية العسكرية والإستراتيجية المشبوهة مع الإحتلال، حيث عزفت وسائل الإعلام والسياسيين التابعين للولايات المتحدة، على الأوتار الحساسة لتلك التهمة فكان شعارها "من لا يريد الإتفاقية هو إيران، إذن من يرفضها هو من عملائها". ونلاحظ هنا أن المعتاد في مثل هذه الحالات أن يتهم من يؤيد المعاهدات بالعمالة للأجنبي، لكن الضغط الاستباقي تمكن من تحويل إتجاه التهمة إلى العكس!

وفي ذلك الوقت (2007) كتبت مقالة ساخرة بعنوان "الوحي زار حاكم العراق في المنام"، وهي تشرح بشكل كوميدي وواضح حالة رئيس الحكومة الذي تم شله قبل أن يستلم السلطة، وتمثل سطورها سجلاً لتلك "الضغوط الاستباقية" التي كان على المالكي أن يعيش معها، وأقترح قراءتها لأخذ تصور عن

الوضع في ذلك الوقت (وهو لا يختلف كثيراً عن الوقت الحاضر، لذلك أعدت نشر المقالة قبل اسابيع) وكمثال لما جاء فيها، بعد أن يأمر الوحي المالكي بأن يعامل الجميع بالعدل:

"ان تتجنب اعدام او سجن او محاسبة اي سني من شعبك وإلا كنت طائفاً ظالماً. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وكذلك يأمرك الله ان تتجنب اعدام او سجن او محاسبة اي شيعي وإلا كنت خائناً مشاركاً في المؤامرة الأموية للقضاء على آل البيت فاستحقت غضب الله ولعنته الي يوم القيامة. واجتنب كذلك محاسبة ومعاقبة المسيحيين واليزيديين والصابئة وإلا كنت متعصباً دينياً، فخالفت امره تعالى "لكم دينكم ولي ديني" وحق عليك حكم المخالفين.

ودع عنك محاسبة اي كردي او تركماني او اشوري أو ارمني وإلا كنت قومياً شوفينياً، والقومية والشوفينية بدع وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. واجتنب محاسبة اي سياسي من الاحزاب الأخرى وإلا صرت متحزباً ضيقاً تعمل على "اقصاء الآخر" فإن انت فعلت عاقبك الله فملاً وجهك وجنبك بالخطوط الحمر يوم القيامة.

واياك اياك ان تكلم بعثياً ممن "لم يثبت عليه الجرم" ونخص بالذكر من كان اختصاصه في الأمن العامة فتقطع ارزاقه، فإن كنت فاعلاً كنت اجتثاثياً وكسبت ذنوبه، لا اراك الله اياها. فأن دعوة البعثي الذي لم تثبت عليه تهمة، ليس بينها وبين الله حجاب." (4)

حين استلم المالكي حكومته الأولى كتبت أنها "حكومة تولد في قفص الإتهام"، فقد كانت الإتهامات تحاصره، وليست كلها مزيفة، وكل اتهام يمثل "ضغطاً استباقياً" يمنعه من التصرف بشكل ما، كما تبين سطور مقالتي الساخرة الأخرى. ومن الطبيعي أن من خلق تلك الضغوط كان يهدف إلى أن يحولها في النهاية إلى مكاسب سياسية واقتصادية محددة.

واليوم لا أجد إلا السيناريو يتكرر مع المالكي وهاهو يبدأ حكومته الثانية محاصراً بضغوط استباقية عن الفساد والعجز عن الإنجاز وإهمال مصالح الشعب والبلاد وتبذير الأموال والدكتاتورية والتشبيث بالسلطة، وليست كل التهم بالتأكيد مزيفة. وقد ولدت تلك الضغوط التظاهرات الخطيرة في الأسبوع الماضي، والتي اصابت حكومته بالخوف الحقيقي والحيرة. ويلاحظ أن "الضغوط الإستباقية" شلت قدرة الحكومة على رد الفعل، فالإتهام بالدكتاتورية وقمع حرية التعبير مكن وسائل إعلام خصومه أن تضخم من قسوة ردود أفعال حكومته وتفسر كلامه بشكل غير صحيح دون أن تخشى الإتهام بالكذب والمبالغة. فتحول قرار الحكومة بمنع سير المركبات إلى "منع تجول" وتلفظ مذيعة فضائية بغداد "القنابل الصوتية" وكأنها تقول "القنابل الذرية" وتتحدث عن "إشتباك بين المتظاهرين وقوات الشرطة" وتحاول عبثاً أن ترى أثراً لذلك الإشتباك، وكتبت صحف عن "ديمقراطية المروحيات" لأن مروحية حلقت بشكل منخفض قليلاً أثار غباراً بين المتظاهرين لبضعة ثوان! ووقعت حوادث عنف كلفت ضحايا غير معروفين العدد حتى الآن، ولكن يلاحظ أن كل تلك الحوادث حدثت في المدن التي يسيطر عليها المعارضين للحكومة، شعباً وحكومة محلية. هذا كله لا يقلل من الأساس الشعبي لتلك التظاهرات والمطالب الملحة التي كانت ترفعها، إلا أن توقيتها والمبالغة الإعلامية في تصوير ما حدث فيها يثير الريبة.

لم تنتج تلك التظاهرات ما كانت الحكومة تخشاه، لكنها خلقت "ضغطاً استباقياً" هائلاً جعل الحكومة موضع اتهام شديد، ووضعها تحت المجهر. وقد قام المالكي بفعل ذلك الضغط بتقديم إجراءات وعود طموحة وربما مستحيلة. لقد طلب إقالة المحافظين الذين طلبت التظاهرات إقالتهم، وهذه مسألة غير طبيعية، فالتظاهرات التي طالبت بإقالة محافظ البصرة مثلاً ليست حتى بالعدد الكافي لتبرير ذلك القرار، عدا كونها طريقة غير صحيحة. وأما الوعد بإجراء تقييم بعد 100 يوم وطرد الوزير المقصر، فهو قرار مشكوك به أيضاً، وإن كان ينقذ المالكي اليوم فهو يضعه في مأزق غداً. فلا يمكن إنجاز الكثير

خلال 100 يوم، ولا مفر إذن من الغش في تلك الإنجازات، وهو ما يهدد بخسارة إقتصادية واجتماعية جديدة، كتلك التي كانت تنتج عن ضغط الدكتاتور لإنجاز الأمور بوقت غير طبيعي، فتأتي "الإنجازات" شكلية منحورة من الداخل، لايمض بعض الوقت حتى تنهار.

قلنا أن "الضغط الإستباقي" على الحكومة المالكية السابقة قد أسهم في تحقيق عدد من المشاريع الأمريكية ومنها إدخال أكبر عدد ممكن من بقايا صدام إلى المؤسسات الأمنية والعسكرية والسياسية، وتمكن من حماية منظمة مجاهدي خلق وبعض اللصوص الكبار وعرقل بدون شك تطور العلاقات مع إيران إلى ما يمكن أن تكون عليه، وقبل ذلك أقام مذبحاً لميليشيات جيش المهدي محققاً حلماً أمريكياً هاماً، فما الذي ينتظر أن ينجزه "الضغط الإستباقي" الذي تتوج بالتظاهرات الأخيرة؟

في تصوري أن أهم الأهداف الأمريكية التي يأملون إنجازها في هذا العام بالذات هو تمديد بقاء قواتهم في العراق. وما استماتتهم في تزوير الانتخابات الأخيرة لصالح قائمة العراقية إلا دليل على ذلك. فمن المعروف أن علاوي ينسجم تماماً مع خططهم خاصة في السيطرة على الأمن من خلال بقايا الصداميين، وكان هو الذي اتاح لهم في فترة حكمه القصيرة وضع العراق تحت سيطرتهم بشكل كبير. أما طارق الهاشمي فقد صرح علناً وبدون مناسبة أنه من الضروري مراجعة جدول انسحاب القوات إثر عودته من الولايات المتحدة. وإضافة إلى هدف تمديد القوات هناك أهداف أخرى تتعلق بقانون النفط مثلاً والذي يضغط الأكراد لإقراره.

هل يستطيع المالكي الإفلات من "الضغط الإستباقي" الشديد الذي سلط عليه، أم سيضطر في النهاية لتوقيع تمديد القوات؟ حتى الآن تقول تصريحات المالكي بأنه لن يمدد الإتفاقية، لكن المفاجآت ليست غريبة على شخصية المالكي، فقد كان يرفض المعاهدة حتى آخر أسبوع قبل توقيعها، ثم انقلب فجأة. لكن ما لا أشك فيه هو أن ذلك التمديد ليس في صالح العراق، ولا هو في صالح حكومة المالكي. فقد رأى المالكي بوضوح أن أي تواجد للأمريكان في العراق هو تدخل سافر وعميق في كل المقدرات والسيادة العراقية، من تزوير انتخابات إلى تدخل في الإقتصاد إلى الضغط على السياسيين وابتزازهم، وأهم من ذلك أن الإحتلال هو المتهم الأكبر بإدارة الإرهاب. ويدرك المالكي أيضاً أنه لم يكن ولن يكون الشخص المفضل أمريكياً لحكم البلاد. لكل هذه الأسباب أعتقد أن المالكي لا يريد التمديد بل يخشاه، فكيف سيفلت منه؟

لا أحد يدري ما الذي يخبئه الأمريكان للأشهر القادمة، لكن هناك طريقة واحدة لتقليص فرص الضغط على الحكومة إلى أدنى حد حول التمديد، بإعلان المالكي فوراً أنه لن يقبل بتمديد القوات تحت أية ظروف، وأنه سيستقيل إن أُجبر على ذلك ويدعو لإنتخابات مبكرة! بهذه الطريقة سوف يسلط المالكي "ضغطاً إستباقياً" مضاداً لأية خطة أمريكية لتمديد التمديد. أية محاولة لإزاحة المالكي واستبداله بأخر من أجل التمديد ستكون مكشوفة تماماً، وستكون فضيحة ليس من السهل على الأمريكان تسويقها داخل أميركا نفسها. كذلك فلن يكون سهلاً على أميركا أن تجد من يقوم بتنفيذ الخطة لها، وإن وجدت فإن هذا الشخص سوف يحرق أوراقه تماماً، ويتسبب للإحتلال ولنفسه بإشكالات كبيرة ربما تكون فوق طاقة الإحتلال نفسه.

أن أي تساهل أو إشارة باحتمال تمديد القوات، تحت أية ظروف، سوف يشجع الإحتلال على الضغط على الحكومة من أجل التمديد، وسنجد تلك "الظروف" قد حدثت أو خلقت فجأة لتستدعي التمديد. اما الشعب العراقي فلن يصدق على الإطلاق أية حجة لذلك التمديد حتى لو مرت البلاد بأية ظروف أمنية قاسية، فسوف يفسر العراقيون أن الإحتلال وأعدائه قد خلقوا تلك الظروف خلقاً من أجل التمديد، وبالتالي فسوف يحكم على أية حكومة توقع التمديد بأنها حكومة عميلة.

المالكي مسؤول بشكل خاص عن تخليص العراق من آثار تلك المعاهدة، أو على الأقل الجزء العلني العسكري منها وبأي ثمن، فهو الذي وقعها وورط البلاد بها، في ظرف كان يمكن رفضها دون مشكلة كبيرة. لذلك على المالكي أن يضع هذا الهدف نصب عينيه، وخير ما يبدأ به حملته للتخلص من القوات، هو أن يعلن فوراً، وقبل أن يهيء له الأمريكان مفاجأة جديدة، أنه لن يمدد المعاهدة بأي شكل من الأشكال. كل تأخير لذلك التصريح يحمل مخاطرة، وكثيراً ما يكون الحسم السريع أقل الطرق كلفة وخطورة.

(1) http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=44513